

## مسألة التحضر في المجتمعات الجديدة بين بنائها وتغيرها

أ. عزوط غنية

أستاذة مساعدة

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

## ملخص الدراسة:

تعتبر مسألة التحضر عملية يتم بها زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة في الريف، وذلك من حياة ريفية إلى حياة حضرية، تلك التغيرات التي تحدث على طبائع وعادات وطرق معيشة السكان، وعادة ما تؤثر هذه العملية تأثيرا كبيرا في التركيب الاجتماعي والاقتصادي والمهني للسكان. فللمدينة جذور ممتدة من عادات وتقاليد الناس الذين يعيشون بها ويترب على ذلك أن للمدينة تنظيما أخلاقيا جنبًا على جنب مع تنظيمها الفيزيقي، وأن كلا من التنظيمين يتفاعل مع الآخر وإذا كان بناء المدينة أو تركيبها يفرض نفسه علينا منذ أول وهلة بضخامته وتعقيداته الظاهرة، فعن هذا البناء نفسه له جذوره وأساسه في الطبيعة البشرية التي يكون في ذاته تعبيرًا عنها، ومن ناحية أخرى فإن هذا التنظيم الواسع الذي ظهر استجابة لحاجة سكانه عندما يتم تشكيله، يفرض نفسه على السكان كحقيقة خارجة.

## الكلمات الافتتاحية:

التحضر؛ المجتمعات المستحدثة (الجديدة)؛ العلاقات الاجتماعية.

## Résumé :

La question de l'urbanisation est un processus dans lequel la population des villes est augmentée en changeant la vie à la campagne, d'une vie rurale à une vie urbaine, ces changements qui se produisent sur les mœurs, les habitudes et les modes de vie de la population, et ce processus a généralement un impact significatif sur la structure sociale, économique et professionnelle de la population. La ville a des racines s'étendant de La ville a des racines qui s'étendent des coutumes et des traditions des personnes qui y vivent, et il s'ensuit que la ville à une organisation morale à côté de son organisation physique, et que les deux organisations interagissent avec l'autre. Elle est elle-même enracinée et ancrée dans la nature humaine dont elle est elle-même une expression. D'autre part, cette vaste organisation qui a émergé en réponse au besoin de ses habitants lorsqu'elle s'est constituée, s'impose à la population comme une réalité extérieure

## Mots clés :

Urbanisation; les sociétés modernisées (nouvelles); les relations sociales

## مقدمة وإشكالية الدراسة:

إن تبني الجزائر للطابع الجديد للمساكن والذي يفتح على العالمية (ما يسمى السكنات المغلقة)، أي التي تحتوي على رمز لدخول العمارة (Interphone).

ويتسم بوجود مدخل مشترك وواحد، وله مقاييس هندسية محددة، هذه الخصائص تجعل الساكن مقيدا بها، حيث دخوله وخروجه من باب واحدة مع جيرانه يستوجب أن يكون مبني على شروط وأن يخضع لمعايير قد تكون ملائمة في كل الأحوال. ويستبعد زيارة أفراد الحي الواحد للعمارة، ذلك حيث لا يكفي التقارب الفيزيقي والاستعمال المشترك باندماج الأفراد والعائلات ضمن روابط اجتماعية، إذ أن أغلبية سكان العمارات يجوبون ضبط علاقاتهم الاجتماعية وتحديدها ضمن روابط رسمية خالية من التفاعل الوجداني الاجتماعي الذي كان يميز علاقات الجوار بين السكان في السكن الحضري التقليدي، فقد تلاشت ظاهرة المراقبة الجماعية وحلت محلها المراقبة الفردية. هذه الأخيرة تزيد من التخوف من طرف السكان باعتبار أن الخارج هو ملجأ للخطر وحيزا عدائي لا يخضع لأي تنظيم.

أما التعاون فلا تجده يظهر إلا داخل العائلة والأسرة الواحدة، ولا تقوم هذه العلاقات خارجها، الأمر الذي ينفي حدوث أي تفاعل اجتماعي بين الجيران، لأن في هذه الحالة يظهر الجوار إلا في مواقف محدودة وسطحية ومصالحة كأن يكون التعاون يتجسد إلا في تحقيق أغراض خفية وبأساليب غامضة، إذ يلجأ الكثير من الأفراد إلى استخدام العلاقات الغير الرسمية، كأن يستغيثوا بالجيران فقط لتحقيق حاجاتهم الخاصة، كترك الأطفال أو تحقيق مصلحة خاصة، لهذا فقدت سمة الجيرة معناها وخاصيتها المعنوية في المجتمعات الجديدة، (المصلحة الفردية قبل المصلحة الخاصة (الفردية)).

والسكن الحضري الجديد أنجز لتكوين فرد جديد وأسرة جديدة، بغض النظر عن كل الاعتبارات والخصائص النفسية والاجتماعية للفرد والعائلة من حيث أن لها عاداتها وقيمها وثقافتها الخاصة، كما أن هذا النوع من السكن يلزم الفرد والأسرة أن يتقيد بشروط عديدة إزاء جيرانه الذين يسكنون أو يشاركونه العمارة كأن يلتزم بالهدوء في أوقات معينة، حيث يجب عليه ألا يحدث ضوضاء أو أصوات تزعج من تحته من سكان أو إزعاج السكان بقرع الجرس دون أسباب. هذا كله يجعل الحياة في هذه السكنات يتخللها اضطرابات في السلوك والأفكار ومنه ينعكس على الروابط والاتصالات بين السكان في الحي الواحد وحتى في العمارة، حيث لا يتعاملون بكلمات فقط ومفردات لا يجعلمهم إلا التقارب الفيزيقي، معنى ذلك أن علاقاتهم ولقاءاتهم وتفاعلاتهم تقلصت وتلاشت، ولم تبقى محافظة إلا على شكلها ومعناه السطحي، حيث يتبادل السكان التحيات تارة بالكلمات وتارة لا تتعدى فقط رفع الأيدي، هذه التحيات تخلو من أي جانب وجداني اجتماعي ولا ترمي إلى توطيد العلاقات بل هي تلقائية آلية تحدث من باب الحفاظ على الأمان أو الابتعاد عن العداوة. على عكس ما كانت عليه في السكن الحضري القديم التي كل تحية كانت نابعة من العمق.

أما فيما يخص الزيارات فبعد أن كانت الزيارات في النمط السكن القديم متبادلة ما بين الجيران والأصدقاء والأقارب والتجمع في الكثير من المناسبات يدعمها التعاون والتضامن، أصبحت الآن هذه الخاصية شبه منعدمة، حيث

في السكن الجديد أصبحت إمكانية استقبال الضيوف محدودة في فئة معينة بين أفراد العائلة، هذا الأمر يحقق ترابط عائلي وتستمر الحياة العائلية، ولكن تنقلص الحيوية الاجتماعية بين الجيران داخل الحي. إذن ما طبيعة العلاقات الاجتماعية في السكنات الحضرية؟ سنحاول من خلال هذه الإجابة على هذا السؤال من خلال التطرق إلى أهم الدراسات التي تناولت مسألة الحضرية في المدن، وذلك في تناول مسألة المجتمعات المستحدثة أنواعها ومجالات التغير والتحضر.

## I. المجتمع المستحدث وخصائصه:

المجتمع المحلي المستحدث هو ذلك المجتمع الذي تم توطين الناس فيه بعد نقلهم من بيئة اجتماعية مادية مألوفة لهم وذلك لظروف معينة...<sup>(1)</sup>

المجتمع المحلي المستحدث هو مجتمع مقصود التكوين، الذين يعني محاولة بناء وتنمية المجتمع بطريقة متمممة واعية...<sup>(2)</sup>

والمجتمع المستحدث هو ذلك المجتمع الذي أنشئ على أسس تخطيطية شاملة ومتكاملة بكافة جوانبه الفيزيائية، والاقتصادية والتنمية ثم نقل العناصر البشرية تحت شروط معينة بهدف تحقيق وضع اجتماعي، واقتصادي متطور عن الوضع السابق لهذه العناصر البشرية، أي في المجتمع المحلي.

فالمجتمعات المستحدثت قد تكون حضرية مستحدثة، ريفية مستحدثة وقد تكون مستحدثة قديمة أو متخلفة ولكن أهم أنواع هذه المجتمعات هي:

### أ. المجتمع المستحدث التلقائي:

أن المجتمع المستحدث التلقائي هو مجتمع سكانه جاء ومن مناطق مختلفة من حيث المكان والثقافة، ولهذا فإن هذا المجتمع يتسم بعدم التجانس وفيه ثقافات عديدة ومختلفة هذا اللاتجانس سببه أن هؤلاء أناس جاؤوا إلى هذه المناطق عشوائياً دون سابق تخطيط مما نتج عنه اضطرابات في شتى النواحي بسبب أن هؤلاء الناس لهم دوافعهم، مشاعرهم وطموحاتهم المختلفة وثقافتهم الخاصة بهم.

وتحدث اضطرابات كذلك بسبب أن سكان هذا المجتمع التلقائي الجديد يتأرجحون بين المجتمع القديم الذي جاؤوا منه والمجتمع الجديد الذي جاؤوا إليه، حيث توجد درجة من البعضية تربط بهذا المجتمع الجديد، هذه البعضية تحدد درجة انتمائية لأن الولاء للمجتمع الأصلي لا يزال قائماً وذلك نتيجة للروابط الأسرية والعلاقات الاجتماعية مع أفراد وسكان المجتمع الأصلي.

هذا التآرجح يؤدي بالأفراد إلى الانعزال عن المشاركة في المجتمع الجديد وانخراطهم في حركات اجتماعية مضادة، وأحياناً يكون هذا التآرجح في بداية الأمر، ثم بعد ذلك يبدأ هؤلاء بالتكيف مع ذلك المجتمع، وتقل حدة هذا التآرجح،

(1) د. جابر عوض السيد: التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، 1996، ص 100.

(2) هدى مجاهد: التنمية المتكاملة في المجتمعات المستحدثة، أعمال دراسة حول النظم المجتمعات المستحدثة، القاهرة، 1984، ص 93.

وشيثا فشيئا يبدأ هؤلاء النازحين بالانتماء كلياً للمجتمع الجديد، بحيث يكون بشكل تدريجي ومع قدوم الأجيال الجديدة التي تربطهم مع المجتمع القديم إلا بقايا أهل والذكريات.

إن عضو المجتمع المستحدث التلقائي يؤمن بالحرية الفردية وحقه في الحياة والعيش، فمن الناحية الاجتماعية نجد أسلوب حياة مبنية على ثقافة فرعية ذات قيم ومعايير اجتماعية معينة.

### ب. المجتمع المستحدث المخطط:

المجتمع المستحدث المخطط هو الذي ينشئ ويقام بصورة مخططة ومقصودة وليس بصورة عشوائية أو تلقائية، وغالباً ما يكون وراء إقامة هذا النوع من المناطق الدولة. والمجتمع المستحدث المخطط هو مجتمع يتكون من أفراد أو سكان تم تحريكهم أو إدخالهم فيه بعد وضع تخطيط أو خطة سابقة تنفيذية يقوم بها مخططون متخصصون من جميع الجوانب الاقتصادية الاجتماعية وذلك بناء عن طلبات الشعب المتزايدة في تحسين أساليب معيشتهم والحصول على مناطق تأويهم والابتعاد عن الحرمان والسكن في أماكن غير لائقة، والمجتمع المستحدث المخطط هو مجتمع تم تخطيط له بأسلوب علمي درست فيه جميع الجوانب من كل جهة كدراسة أنواع الموارد والإمكانات في الدولة أو الإقليم أو المدينة أو القرية.

إن المجتمع المستحدث المخطط هو مجتمع سكانه قدموا إليه بناءً على طلبات ملحة ينتمون إلى فئات مختلفة ولهم ثقافات متباينة، ثم التخطيط لها مسبقاً هذا التخطيط مرهون بفترة زمنية معينة وأهداف يحققها.

هذه الأهداف تنحصر في كون أن الدولة في محاولتها للقيام بانتماء هذا النوع من المجتمعات هو حل أزمة السكن وتحسين ظروف معيشة العديد من الناس وكذا تحسين ظروف البيئة الطبيعية وإعطاء المنطقة جانب جمالي خالي من الفوضى.

وبصفة عامة المجتمع المستحدث المخطط هو هذا المجتمع الذي خضع لجميع هذه المخططات، هذه التخطيطات علمية رشيدة وضعت في عين الاعتبار كل العوامل والجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية.

## II. التحضر والتغير في المجتمعات المستحدثة:

### أ. التحضر:

التحضر عملية معقدة وهو تركز جغرافي للسكان والأنشطة غير الزراعية في بيئة حضرية مختلفة من حيث الشكل والحجم، أو نتيجة تفاعل العديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبنية الأساسية هي بيئة تصنف حضر مما يؤدي إلى انتشار قيم وسلوك ونظم ومؤسسات حضرية...<sup>(3)</sup>

وقد جذبت ظاهرة التحضر اهتمام الكثير من علماء الاجتماع وخاصة علماء الاجتماع الحضري الذين فسروا هذه الظاهرة وفق الأبعاد التالية:

(3) د. عبد العزيز بوودن: التحضر في الجزائر، العوامل، المراحل، الخصائص والانعكاسات، مقال الباحث الاجتماعي، عدد 5، 2004، ص 161.

- (1) تعتبر ظاهرة التحضر ظاهرة حديثة نسبياً، بالمقارنة بالظواهر الاجتماعية الأخرى كاللغة، والعائلة... الخ. فقد نمت به عملية التحضر في المدن مرحلة متأخرة من التاريخ الإنساني.
- (2) عملية التحضر مستمرة والمشاكل المتعلقة بها مستمرة معها.
- (3) التغيير في نمط الحياة الاجتماعية الذي يعتبر نتيجة حتمية للتحضر، وهذا التغيير يمتد أثره أيضاً إلى الحياة الريفية.

وبتحليل هذه العوامل التي تؤثر على التحضر يتضح أنها تظهر أن له عملياته، هذه العمليات هي خمسة، ولها تأثير مباشرة على الهيكل الحيزي للمنطقة الحضرية وهذه العمليات هي:

- (1) بروز ابتكارات وإبداعات بما يمثله من عمليات نقل وتقليد وانتشار لهذه الابتكارات.
- (2) طرق توجيه واتخاذ القرارات.
- (3) الاستثمارات.
- (4) هجرة السكان.
- (5) ظهور تجمعات سكنية بأنماط وخصائص معينة، والتمركز الصناعي بالمدن.

ومن هنا نرى للتحضر مفهوم حسب العوامل المؤثرة فيه "أنه الانتقال من الحياة الريفية إلى المدن للعيش، ويكون هذا الانتقال بسبب الهجرة، حيث ينبغي على الشخص أو الجماعة أن تتكيف مع النظم والقيم السائدة في المدينة، وقد يترتب على حالة انعدام التكيف تدهور الحالة المادية والمعنوية ومن هنا العودة إلى القرية...<sup>(4)</sup>

ويعرفه "Lampard" بأنه إعادة توزيع السكان بين شطري المجتمع الريفي والحضري، وذلك نتيجة للتحويل الكلي الحاصل في المجتمع من أنشطة أولية (زراعية) إلى أنشطة ثانوية، صناعية، ومن ثم يصبح مفهوم التحضر لديه علاقة بالصناعة...<sup>(5)</sup>

(4) محمد عاطف غيث وآخرون: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1984، ص 499.

(5) أحمد بودراع: التطور الحضري والمناطق الحضرية المتخلفة بالمدن، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1997، ص 136-137.

## خاتمة:

بناءً على كل ما سبق فإنه يتضح لنا أنه لتحقيق درجة معينة من التحضر فإنه يستوجب التغيير، فالتغيير لا يتم في نسق واحد من أنساق المجتمع أو جانب من الجوانب بقدر ما يجب أن يكون في كل الجوانب فهو تغيير شامل وأنه لا ينتج وجود سبب أو عامل واحد وإنما هو ناتج لتراكم عدة عوامل تكون متحدة ولها درجة من الأهمية. ولكن تحقيق التغيير الشامل والأفضل لا يتم بشكل كامل لوجود عراقيل وعقبات تحول دون ذلك، هذه العراقيل تكون كلها مرتبطة بعضها مع البعض، هذا الارتباط يحول دون قيام علاقات جديدة مع أفراد جدد في مجتمع جديد.

## قائمة المراجع:

- أحمد بودراع: التطور الحضاري والمناطق الحضرية المتخلفة بالمدن، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1997.
- السيد عبد العاطي السيد: علم الاجتماع الحضري، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
5. جابر عوض السيد: التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996.
5. هدى مجاهد: التنمية المتكاملة في المجتمعات المستحدثة، القاهرة، 1984.
- عبد العزيز بوودن: التحضر في الجزائر، العوامل، المراحل، الخصائص والانعكاسات، مقال، عدد 5، 2004.
- محمد عاطف غيث وآخرون: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1984.
- محمد عاطف غيث: علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- مصطفى عمر حمادة: السكان وتنمية المجتمعات الجديدة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998.
- Yves Grafmeyer et Isaac Joseph : L'école de Chicago, Naissance de l'écologie urbaine, Ed. Arbier, 1998.
- Ledrut Raymond : Sociologie urbaine, Ed. PUF, Paris, 1968.-